هل مات نبوليون مسموماً ؟

سجلات مطوية عن ايام نبوليون الأخيرة في جزيرة القديسة هيلانة
نقلاً عن سجلات اسرة هابسبرج

(٧) ظهور اعراض الداء

بسطنا في فصل سابق ما كان من امر نبوليون مع السر هدسن لو وما دعا الى القطيعة بينهما . ومنشأ تلك القطيعة ما كان نبوليون يدعيه من انه ضيف انجلترا لا أسيرها لأنه هو الذي استسلم الى الانجليز . اما هؤلاء فكانوا يرون في بقائه مطلق السراح خطراً على السلام ولذلك نفوه الى جزيرة القديسة هيلانة وبثوا حوله الأعين خشية ان يفلت ويعود فيزعج اوربا مرة اخرى

واشتدّ الكفاح بين نبوليون وآسره كما مرّ بك . وكان المركيز دي مونشنو مندوب فرنسا في الجزيرة قد حلّ محل البارون فون شتورمر في ارسال الكتب المسهبة عن حالة الأسير الى البرنس مترنيخ وزير النمسا الذي كان اعتى اعداء نبوليون في ذلك العهد

ولم يكن المركيز مونشنو على شيء من الخلق ولا كان عارفوه يحترمونه او يقيمون لكلامه وزناً . وليس للرسائل التي كان يبعث بها قيمة الاّ في كونها صادرة من رجل ذي منصب خطير لأن المركيز كان مندوب [illegible]

[illegible] فراراً من دائنيه . ووصفه « بنيس » مندوب الروسي بالجبل والزق . وسُئل عنه نبوليون مرة فقال كان اجدر بشرف فرنسا لو إنها انتدبت غير هذا المتوه لمعاونة الانجليز

ومع ذلك فان رسائل مونشنو الى البرنس مترنيخ كانت على اعظم ما يكون من الشأن. ويستفاد منها انه لو كان السر هدسن لو ألين عريكة في موقفه حيال نبوليون لاستسلم هذا الى الأطباء الذين عهد اليهم في معالجته وربما كانت آلامه في ايامه الأخيرة اخف وطأة . ومن المحتمل اذا درسنا رسائل مونشنو بالتدقيق ان نجد فيها ما يشف عن سبب وفاة نبوليون الحقيقي

كان نبوليون حتى نفيه الى جزيرة « البا » على احسن ما يكون من القوة والعافية .

وكانت قواه العقلية على احسنها جلاء . وما كان احد غيره من البشر ليستطيع القيام بما قام به من الاعمال الناهكة المضنية . ولما استسلم الى الانجليز في روشفور دعي رهط من اتباعه الذين رضوا بمرافقته على جناح السرعة ولكن لم يتسع الوقت لاستدعاء طبيب يرافقه الى منفاه . ولذلك وقع الخيار على الدكتور اومياوا الذي سبقت الاشارة اليه في الفصل الثالث وهو طبيب السفينة « بيروفون » التي اقلت نبوليون ومن معه الى جزيرة القديسة هيلانة . واستقر الرأي على ان يظل ذلك الطبيب في خدمة الامبراطور . ولعلنا لا نبالغ اذا قلنا ان نبوليون لم يحتج الى طبيب الا في جزيرة القديسة هيلانة حيث ساءت صحته . وفي شهر اكتوبر سنة ١٨١٦ — اي بعد وصوله الى منفاه بعد سنة — ظهرت عليه اعراض داء زعم الدكتور اومياوا انه التهاب الكبد المزمن . ومنذ ذلك الحين اشتد النضال بين نبوليون والانجليز لأنه ادعى بأن الداء الذي اصيب به كان من الامراض الخاصة بجزيرة القديسة هيلانة ولم يكن يمكن شفاؤه منه الا باطلاق سراحه والاذن له بالعودة الى اوربا حيث تتوافر وسائل المعالجة

(٨) النضال بين حاكم الجزيرة وأسيره

وتولت « المحالفة المقدسة » في تلك الأيام رسم خارطة اوربا من جديد وتخطيط حدود الدول . ولم تمن بريطانيا العظمى بتلك المسائل عنايتها بنبوليون وبتشديد المراقبة عليه . وقد كان ذلك في نظرها ذا شأن خاص اذ كانت تخشى اذا ظل نبوليون مطلق السراح ان يعود الى اقلاق راحة اوربا مرة اخرى . وكان اللورد ليفربول — وزير انجلترا الاكبر في ذلك العهد — شديد الخوف من بطش نبوليون . ولذلك عني بأمره عناية خاصة ورسم خطة معاملته في جزيرة القديسة هيلانة وعهد الى السر هدسن لو في تنفيذها . وكان السر هدسن لو رجلاً في منتصف العمر نحيف القامة احمر الشعر سلخ شطراً من العمر في خدمة دولته يقص اثر الجواسيس في ايطاليا وغيرها وقد تلقى امر تعيينه حاكماً لجزيرة القديسة هيلانة بمنتهى الرضى والارتياح اذ كان شديد الثقة بنفسه . ولم يكن يواجه نبوليون بنفسه بل كان يخاطبه بواسطة رسول خاص هو الدكتور اومياوا . فكان هذا الطبيب ينقل اليه اخبار نبوليون وينقل اخبار السر هدسن لو . فكان جاسوساً لكل من الفريقين على الآخر

ولما اشتد النضال بين نبوليون والسر هدسن لو لم يبق في وسع الدكتور اومياوا ان يواصل مهمة نقل الأخبار على ذلك الوجه . ولم يكن له بد من الانحياز الى احد الفريقين فاختار نبوليون وبقي قائماً بخدمته . فكان ذلك داعياً الى الجفاء بينه وبين

السر هدسن لو . وكان هذا شديد الحقد لا يعفو عن الهفوة مهما صغر شأنها . ولذلك حقد على الدكتور اومیارا حقداً تكلف اخفاءه في اول الأمر ولكنه لم يلبث طويلا حتى جاهر به وشهر على ذلك الطبيب حرباً شديدة . وفي ذلك كتب شتورمر الى مترنيخ قبل مبارحة الجزيرة اي في ١٧ مايو سنة ١٨١٨ يقول :

« اتصل بمسامع الحاكم (السر هدسن لو) اني اجتمعت انا ورفقائي بأهل برتران وموتولون في لونجوود . وخيل اليه اننا سمعنا ونحن هنالك حديث الخلاف الذي وقع بينه وبين الدكتور اومیارا . ولذلك عزم على ان يطلعنا على تفصيل ما وقع لئلا ينقل الينا مشوهاً . وهاك نص الحديث الذي جرى بيننا قال الحاكم :

« لن يكون لدي فيما بعد اخبار ابلغكم اياها عن صحة نبوليون . لقد مر ردح من الوقت وانا ارتاب في اخلاص الدكتور اومیارا وامانته . ولم يكن يهمني من طرده من الجزيرة سوى اهتمامي بصحة نبوليون . فقد كان يقضي الساعات الطوال مترقباً وصول السفن . لكي ينقل ما يتيسر له من الاخبار الى نبوليون . واتصل بي اخيراً انه كان واسطة لنقل بعض الهدايا . ولذلك منعته من مغادرة لونجوود الا باذني . فكان جوابه لي انه يأبى البقاء في الجزيرة ويريد مغادرتها . والحق اني ما كنت اتوقع ان يخاطبني بهذا لا سيما ان نبوليون لا يفتأ يتهمنا باننا نعتدي على حريته ونراقب حتى الطبيب القائم بمعالجته وهو الشخص الوحيد الذي يثق به . وعليه فلن يأذن لاحد فيما بعد في معالجته . فما رأيكم في هذا الامر ؟

قلت له ان المسألة دقيقة جداً تدعو الى الاهتمام

فقال وماذا عساكم تفعلون لو كنتم في موضعي ؟

قلت اذا ثبت ان الدكتور اومیارا ارتكب ذنباً وجب وقفه ومحاكمته . ولا شك ان كل ذي نصفة يكون في جانبك . واذا كان ما ارتكبه تافهاً لا يستحق الاهتمام فالحكمة تقضي بطي الكشح عنه واستبقاء الطبيب لئلا يموت بونابرت فيتهم العالم الانجليزي باسره بتدبير . والقرائن كلها تؤيد هذه التهمة

فقال الحاكم ليس الامر تافهاً كما تزعم . ولا ارى من الحكمة ان [illegible] نبوليون وانصاره في قتل الاباء والهدايا على غير علم مني . وليس هذا بالشيء الهين على اومیارا . ومع ذلك فلا ارى من الحكمة وقفه ومحاكمته لئلا تلومني حكومتي . . . فنبوليون كما تعلمون يتهمنا باننا نحاول سمه . وسيقول الفرنسويون اني اختلفت والدكتور اومیارا وغضبت عليه لانه ابى ان يمالئني على سم نبوليون »

(٩) اشتداد المرض على نبوليون

ذلك نص الرسالة التي بعث بها شتورمر الى البرنس مترنيخ . وفي ١١ يوليو من السنة عينها غادر شتورمر الجزيرة كما مر بك فحل محله المركيز مونشنو مندوباً لكنا فرنسا والنمسا واليك نص الرسالة التي بعث بها في ١٢ اكتوبر سنة ١٨١٨ الى مترنيخ . قال : —

« كان البارون دي شتورمر يبعث الى سموكم بالبيانات التي يقدمها الحاكم اليناعن حالة بونابرت . ويظهر ان هذه الحالة ليست على ما يرام . فان الاسير يشكو من التهاب الكبد . وقد كان يتناول في اول

الامر بجرعات كبيرة من الزئبق الى ان ارسلت الحكومة الانجليزية امرها الى الحاكم بمنع الدكتور اومياره من معالجته والاتصال به . ويظهر ان الدكتور اومياره اثار بتصرفه شكوكاً لم تكن في غير محلها

وقد شكا بونابرت في اول الامر من اشتداد وطأة المرض عليه حتى خيل الينا ان حالته تدعو الى اليأس . ومع ذلك كان يأبى ان يعالجه الدكتور الكسندر باكستر طبيب هذه الجزيرة المعين من قبل الحكومة الانجليزية والمقيم بلونجوود . وهو من اطباء فرقة « المدفعية الملكية » وعلى جانب عظيم من العلم والذكاء . فضلا عن انه يتقن اللغة الفرنسوية . ويظهر انه وصل الى الجزيرة بالسفينة التي اقلت نبوليون وان الاثنين كانا في اول الامر على اتم ما يكون من الصفاء حتى ان نبوليون اوصى جميع رجال حاشيته باحترامه واستشارته عند الضرورة

واتفق ان تحسنت صحة نبوليون قليلاً فغادر سريره في ٣١ اغسطس وليس ثيابه وخرج للنزهة . وهي اول مرة فعل ذلك منذ ستة اشهر . ولكنه شعر على اثر ذلك بتعب شديد ولبث قضى في النزهة زمناً طويلا . ومنذ ذلك اليوم لم يجرؤ على الخروج مرة اخرى . نعم ان حالة الجو لا تشجع احداً على الخروج ولكن نبوليون لم يستعد عافيته تماماً »

وظلت الحرب بين نبوليون والسر هدسن لو تأججُ وتزيد اضطراماً . نعم كانت حرباً « كلامية » تبادل فيها الفريقان اقوالاً شديدة الوطأة . ولكن المدهش من امرها انها امتدت الى اوربا كلها والى انجلترا ايضاً حيث انقسم الانجليز شطرين هذا يؤيد نبوليون ويعطف عليه وذاك يرى الحق في جانب السر هدسن لو . وعلى كل فان تفرق كلمة الانجليز جعل السر هدسن لو يتشدد في معاملة الاسير الذي قذفت به الاقدار الى تلك الجزيرة ويسعى لمنع الانباء من الوصول الى اوربا . وفي الواقع ان حاكم الجزيرة لم يكن يطلب منهُ مراقبة نبوليون فقط بل عزله عن العالم عزلاً تاماً واخراس صوته كما لو كان ميتاً في قبره

(١٠) مونشنو يعطف على الحاكم

ولم يكن للسر هدسن لو في الجزيرة انصار كثيرون . على أن مونشنو كان من مؤيديه وقد كتب الى البرلس متربخ في ٣٠ ديسمبر سنة ١٨١٨ رسالة اليك ترجمتها : —

« ان السر هدسن لو رجل غريب الاطوار تثقل معاشرته على اكثر الناس اذ ليس له من الاخلاق والصفات ما يحبب اليهم . وقد لا يجد المرء في صحبته ما يبهج او يحمل على الارتياح . ولعل ما يبطنه غير ما يظهره فانا اذا نزعنا عنه ثوبه الخارجي وجدنا تحته رجلا بعيد النظر قويم الخلق يدرك من بواطن الامور اكثر مما ينكشف عنه ظاهره . وهو ظاهر الدقة دقيق الشعور لا يحجم عن تجاهل السيئة اذا كانت في حق نفسه ولا يتلكأ عن خدمة غيره . يحب وطنه حباً جماً ويخلص في خدمته . وله عندي مكانة تحملني على احترامه وتأييده . ولحكومته به ثقة لا تزعزعها قوة . لانها تعرف شدة اخلاصه وتفانيه في سبيل خدمتها

ولست اعلم بامر لاي كيف صوره لك ملني البارون شتورمر . فقد غادر هذه الجزيرة ولم يترك وراءه

بوليول يمي اخبار معركة وقتوسه على كتب في منزله (نوغجوود) بجزيرة انديسة هيلا »

بوليون في آخر ايمه تمثال رخامي لنسترو فيلا في وشنطن

مقتطف ابريل ١٩٣٠

امام الصفحة ٤٣٣

شيئاً من الصحائف او السجلات ولكن الصورة التي صورتها لكم تنطبق على السر هدسن لو كل الانطباق وهي مذهلتنا كل مصلحة او غاية (١)

(١١) نبوليون يشكو

واستمر النضال بين نبوليون والسر هدسن لو وبلغ درجة من الشدة اقسم نبوليون عندها أنهُ سيطلق غدارتهُ على كل ضابط بريطاني يجرؤ على الدخول عليه . ولا بدع فقد كان نبوليون عصبيَّ المزاج . وزاده المرض مللاً وسآمة اذ كان يقضي على سريره الايام المتوالية . وضاق به السر هدسن لو ذرعاً اذ عجز بعد سفر الدكتور اومياراً عن الوقوف على الانباء الصحيحة عن حالة نبوليون . وحاول غير مرة أن يحمله على الخروج من منزله من تلقاء نفسه لكي يراه الحرس في لونجوود ويعلموا انهُ لا يزال حيًّا . وكان نبوليون يعلم حرج موقف السر هدسن لو فيزيد في استفزاز غضبه ببقائه مستخفياً عن الانظار وبتوعده باطلاق النار على كل ضابط انجليزي يجرؤ على الدخول عليه

وبعث المركيز مونشنو في صيف سنة ١٨١٩ رسالة اخرى الى البرنس مترنيخ اليك ترجمتها :

« منذ ارسلت جوابي عن الرسالة التي وجهتموها الي من ايكس لا شابيل لم تقع في هذه الجزيرة حوادث تستدعي الاهتمام . لا يزال نبوليون مصرًّا على عناده يأبى الانتفاع بما يعرضونه عليه من الوسائل لتخفيف وطأة الملل . وقد اقترحوا عليه ان يحرر قائمة باسماء الاشخاص الذين يود مقابلتهم على ان لا يزيد عددهم على الخمسين . ووعد السر هدسن لو بان يأذن له بمقابلتهم اذا كانوا لا يثيرون الريب والشبهات

« ومن اسباب شكوى نبوليون ايضاً ان ضابطاً بريطانياً يلازمه على الرغم منه معه انهم يقولون

[illegible]

فقد اشترطوا على نبوليون ان يري نفسه للحراس مرتين في اليوم — مرة في الصباح في اية ساعة يعينها . ومرة في المساء في ساعة يستطيع الحراس ان يروه فيها . ولم يجب نبوليون عن هذا بشيء ولكنه يظهر امام الحراس بانتظام لان الامر الوارد من الحكومة الانجليزية يخول بانه اذا أبى نبوليون اظهار نفسه لرجال الحرس وجب ارغامه على ذلك »

« ولما اطلت الشرح على سيدي الامير قبل ان احدثه عن بونابرت . فحالة هذا الاسير لا تزال على ما كانت عليه . وهو يتمارض ويتأفف من اشتداد وطأة الداء عليه . وقد تمر الايام فلا يخرج من غرفته ولا يلبس ثيابه بل قد لا يحلق . كل هذا ليخدعنا بانه مريض ومع ذلك فهو يرفض ان يعوده الطبيب . ثم تنقضي فترة من الزمن فينهض من سريره ويلبس ثيابه ويخرج الى حديقة منزله حيث يقضي عدة ساعات . ولا شك أن هذا من قبيل المشاهد التمثيلية المقصودة »

(١) مما يجدر بالذكر انه قبل انقضاء نصف العام على وصول المركيز مونشنو الى جزيرة القديسة هيلانة تمكن من اقتراض مبلغ الف جنيه من السر هدسن لو . ولعل هذا يوضح سبب اطلاعه في مذكراته

(١٢) وصول الطبيب الايطالي

وفي اوائل شهر نوفمبر من ذلك العام وصل الى الجزيرة طبيب يدعى فرنشيسكو انطوماركي وهو استاذ كورسيكي من اساتذة علم التشريح بقي في الجزيرة الى ما بعد وفاة نبوليون . وكان برفقته كاهنان ايطاليان هما الاب بونافيتا والاب فيالى . وفي الرسالة الآتية اشارة الى جميع ذلك وقد بعث بها مونشنو الى البرلس مترنيخ في ٨ نوفمبر سنة ١٨١٩ : قال : —

« . . . ان صحة الاسير هي احسن من صحتي . فهو لا يموزه شيء وانا تموزني اشياء كثيرة . وهو يظهر لرجال الحرس بانتظام ويخرج للنزهة من وقت الى آخر الا انه قلما يتجاوز سوى حديقته وقد يبدو احياناً في حالة غبطة وانشراح واحياناً في حالة حزن لا مزيد عليه تبعاً لما يقف عليه من اباء الصحف التي يتلقاها باتظام والتي قلما تصل الي والى الحاكم الا متقطعة . . . . »

« وقد وصل الى الجزيرة ثلاثة كورسيكيين موفدين من قبل الكردينال فيش خال نبوليون (او عمه ؟) وهم كاهنان من مدرسة البروباغندة بروما وطبيب من اساتذة علم التشريح يدعى انطونيو ماركو . ويلوح لي انه اذكى من رفيقيه الذين يشف مرآهما عن الوداعة وحسن الخلق . الا انه ميال على ما يظهر الى الدسائس »

ويؤخذ مما كتبهُ مونشنو الى مترنيخ انه لم يكن مرتاحاً الى قدوم الدكتور انطونيو ماركو ولكنهُ امن جانب دسائسه لانهُ لم يكن يتكلم الا الايطالية

(١٣) نبوليون يلهو

وبعث مونشنو الى مترنيخ في ٢٦ يناير سنة ١٨٢٠ بالرسالة الآتية : —

« . . . يلوح لي ان نبوليون يتمتع بصحة جيدة . وان كان يشكو لاتباعه من اشتداد وطأة الداء عليه . وقد انشأ له حديقة يقضي فيها النهار كله فيعمل ويأمر اتباعه بالعمل . . . ولما كان الماء في لونجوود شحيحاً فمن اعظم دواعي غبطته ان يسرق ما يتيسر له منه . وهو يجد في تلك السرقة لذة كما كان يجد في سرقة المروش . وقد كاد منزله الجديد يكمل وسينتقل اليه في خلال هذا العام وسيكون الماء فيه متوفراً فقد جيء به الى هنالك بانابيب من الرصاص عن بعد ميلين . وقد مدت هذه الانابيب فوق جرف وهضاب ومرتفعات عاوية وهو عمل ماكان ليستطيع انجازه الا قدماء الرومان

« ولا يزال نبوليون ملازماً منزله . وكان في اول الامر يأبى الخروج لان المنطقة التي ابيح له ان يجول فيها ضيقة ولان ما يطأ كان يتبعه اينما سار . ومع ان المنطقة وسعت وابيح له ان يجول الى مدى اثني عشر ميلا حتى دون ان يرافقه ضابط فقد ابى ان ينتفع بهذا السخاء . ولما رأى ان الحاكم مهتم بامر رياضته اخذ يشترط شروطاً ما انزل الله بها من سلطان وهي غريبة في نظر جميع الذين سمعوا بها او اطلعوا عليها . من ذلك انه طلب ان يؤذن له في ارتياد الجزيرة كلها بلا قيد ولا شرط ولا حارس وان لا يرغم على العودة الى منزله قبل الساعة التاسعة ليلا وان يحق له الخروج للنزهة بعد العشاء ايضاً

« ومع ذلك اجيب الى جميع هذه الشروط حتى دهش هو نفسه ولكنه لم يتمتع للاسف بذلك وانه يخاف من مكيدة او من كمين يطبق عليه رصاصة . ما اشد تعلقه بالحياة . . . .

« وتراه يلهو باطلاء الطيور والغنم تارة قاتلة وانه يريد ان يمرن نفسه على الطرب لئلا ينسى اصولها . ومنذ يومين قتل عنزة السيدة برتران فأصمت هذه البائسة وليس عندها ابن والابن نادر في هذه الجزيرة »

واليك ترجمة رسالة اخرى بعث بها مونشنو الى مترنيخ في ٤ اغسطس سنة ١٨٢٠ قال:

« لا تزال صحة الاسير على احسن حال وهو يقضي نهاره في الحديقة ولا يجرؤ على الانتفاع بالامور التي اتيحت له لانها تحمد على الدهشة . ولا يزال الوهم يصور له انه ما أجيب الى مطالبه الا لكي يجعل اهدافاً لرصاصة جندي من رجال الحرس . وانتم تعلمون ما هو عليه من سوء الظن بالجميع ومن التعلق باهداب الحياة . وكان قد طلب ان ترسل اليه اربعة جياد وقد وصلت حديثاً . ولكنه لا يزال يلهو باطلاق الرصاص . . .

« وقد قتل جميع الخراف والماعز والطيور الداجنة التي حول منزله بحجة انها تعيث بحديقته فساداً ثم عرض ان يشتري كل ما يوجد منها في الجزيرة . فكانوا يأتونه بقطعان منها ويطلقونها في الحديقة فيلهو باطلاق الرصاص عليها . او على زجاجات يضعها عن بعد ويجعلها اهدافاً »

(١٤) وفاة نبوليون

ومن اشد الامور اثراً في النفس حكاية نبوليون في ايامه الاخيرة وكيف كان يدافع عن منزله وحديقته كأنهُ يدافع عن مملكته . وفي ٥ مايو سنة ١٨٢١ كتب مونشنو الى مترنيخ ما يأتي :

« نحن الآن في شبه ازمة خطيرة . ذكرت لسموكم في كتاب سابق ان نبوليون يتمتع بصحة جيدة وان كان يشكو لاتباعه من اشتداد وطأة الداء عليه (١) . وقد اعتدنا منه مثل هذا التهارش في الخمس السنوات الماضية ولذلك ترانا لا نعبأ بكلامه كثيراً . وقد كان يخرج للنزهة مرتين في اليوم فعاد وعدل عن ذلك ويظهر انه شعر باشتداد المرض فاستدعى الدكتور ارنوت من اطباء الفرقة المشرين الضاربة على مقربة من لونجوود . ومن ذلك الحين اخذ ذلك الطبيب يعوده كل يوم . وقد فحصه بدقة واستقصى من الدكتور انطومارك تاريخ مرضه وانواع الدواء الذي كان يتعاطاه . فذكر له الدكتور انطومارك ان نبوليون كان يأبى تناول الدواء . وقد اجمع رأي الطبيبين على ان حالة نبوليون لا تدعو الى اليأس ولكنها ساءت فجأة في ٣٠ ابريل حتى ظن الطبيبان ان نبوليون لن يرى فجر اليوم التالي . واتيحت فرصة حصوله في غيبوبة فعالجاه بمادة تمتص الرطوبة من صدره . ولكنه شعر بها فقذفها بعيداً . وفي صباح ٢ مايو كانت حالته اسوأ . وظل كذلك حتى المساء الا ان قواه لم تكن قد خارت . وفي الليل نام قليلا حتى الساعة الثانية . ثم اخذ يتقلب على سريره حتى مطلع الفجر وهو في حالة هجران شديد يتكلم كلاماً متقطعاً غير مفهوم

وعاد فنام بعد ذلك حتى الساعة الثامنة من صباح اليوم التالي . وحاول الطبيب ان يجرعه الدواء وهو في حالة غيبوبة . والغريب ان الضعف لم يبق منه غير خيال لانه لا يأكل ولا يشرب

« وفي الساعة الخامسة من صباح اليوم بدأ بالاحتضار . وفي الساعة السادسة الا عشر دقائق مساء لفظ انفاسه الاخيرة . وقد شاهدت جثته انا وسكرتيري (السير دي جوري) فلم نر انه تغير

« وهذا ما قاله حتى الذين لم يكونوا يعرفونه الا من تصاويره »

« وقد اسلم الروح بكل هدوء . . . وبلا قلق . ولم يشوه الموت شكله . على انه عانى آلاماً مبرحة وفقد قوة النطق منذ الساعة السادسة صباحاً : واشد ما يدهشنا انه لم يستطع ولا طبيب من الاطباء

(١) راجع كتاب مونشنو الى مترنيخ بتاريخ ٢٦ يناير سنة ١٨٢٠

الخمسة الذين حضروا ان يبينوا علة وفاته وسأكتب الى سموكم عن تشريح جثته وابحث ذلك بالبريد القادم
« وقبل ان اختم رسالتي هذه سأعني احد الاطباء وقال انهم وجدوا سرطاناً في المعدة . وكان نبوليون قد طلب الى الاطباء قبل وفاته ببضعة اشهر ان يقوموا بعملية جراحية لاستئصال ذلك الداء . وقال ان ابله مات به وكان يتمنى لو ينجو ابنه منه »

(١٥) هل مات نبوليون مسموماً ؟

وقام الطبيب انطومارکي بتشريح جثة نبوليون ولكن بيان ذلك وقعهُ الاطباء الانجليز الخمسة الذين حضروا وفاة نبوليون ولم يوقعهُ الطبيب انطومارکي نفسه . وفي البيان انهم وجدوا المعدة بؤرة داء عظيم . وهذا البيان هو المحور الذي يدور عليه البحث في اسباب وفاة نبوليون . وهو مكتوب بلغة الاصطلاحات الطبية التي لا يفهمها الا الاطباء

ومن اماني نبوليون قبيل وفاته ان يرسل قلبه الى زوجهِ ماري لويز ومعدته الى ابنه « النسر » الصغير (الدوق دي ريشتاد) وقد استأصل الاطباء هذين العضوين من الجثة الا ان السر هدسن لو منع خروجهما من الجزيرة

ومن اماني نبوليون الاخيرة ايضاً ان يدفن في باريس فان لم يتسنَّ ذلك ففي جزيرة كورسيكا . الا ان الحكومة الانجليزية امرت السر هدسن لو بدفنهِ في الجزيرة . وقد تم ذلك في ٨ مايو فحملت شرذمة من جنود « الجرينادير » الانجليزية تابوته الى المركبة التي اعدت له . وكان مغطى بمطرف . وكانت الحاشية وراء المركبة يتبعها الضباط الانجليز والحامية وجميع سكان الجزيرة وتوجهوا الى بقعة تظللها اشجار السرو على بعد نحو ميل

[illegible] حيث يرقد . وبينما الناس ينيبون يسير صاروخ حيث ترك التابوت الى القبر وجعل الراس الى جهة الغرب . واذ ذاك أطلقت المدافع الطلقات المعتادة واذرى التراب على القبر

وفي ١٩ مايو سنة ١٨٢١ ارسل مولشنو الى مترنيخ الكتاب التالي :

« لي الشرف بان ارسل الى سموكم طي هذا بياناً مسهباً عن تشريح جثة نبوليون . ومنه ترون ياسيدي الامير ان الرجل مات بداء عضال لا علاقة لجو هذه الجزيرة به

« ويظهر انه قبل وفاته ببضعة ايام سلم الى مونتولون « ملحق وصيته » على مرأى من جميع الخدم والاتباع على ان يقتحها مونتولون امامهم (وامام حاكم الجزيرة اذا اراد) بعد وفاته . وقد تم ذلك فاذا نبوليون يعين برتران ومونتولون ولورتال منفذين لوصيته . وقد ترك لكل منهم ثلث المتاع الذي يملكه في هذه الجزيرة وهو يسير جداً لا اظن ان ثمنه يزيد على ستة آلاف من « الدوكات » . وقد ترك عدة صناديق صغيرة مقفلة واوصى بان ترسل الى ابنه الا ان الحاكم امر بفتحها فاذا في احدها مجموعة من الخواتم . وفي الآخر مجموعة من صلبان وسام « الليجيون دونور » وفي غيرها مجموعة من الصور . واوصى ايضاً برتران بان يسلم سيفه الى ابنه . وملحق الوصية هذا يدل على وجود وصية اصلية في اوربا »

[البقية في الجزء التالي]